الفصل الأول

موضوعات شعره

بين التقليد والتجديد

يمكن لمتفحص شعر ابن شهاب أن يضعه في ثلاثة اتجاهات موضوعية محددة هي : الاتجاه التقليدي الذي يضم الأغراض ذاتها التي عالجها الشعر العربي الموروث كالمديح والغزل والهجاء والرثاء والفخر والحماسة، والتي انطلق منها شعراء الأحياء في الوطن العربي لتقديم تجاربهم الشعرية نقلاً لتلك الأغراض واتكاء عليها. أما الاتجاه الثاني، فهو تلك الأغراض التي عبر فيها عن الآراء والأفكار الموضوعية المعاصرة التي خرجت في شعره إلى معالجات ترتبط بالواقع وبالمرحلة التي عاش فيها. ويأتي الاتجاه الثالث، ليبرز لنا الذاتية في شعره بوصفها انعكاسًا لتجربته الشعرية والتي تعبر عنه وعن عواطفه و وجدانه أصدق تعبير.

◆ **أولاً : - الأغراض والموضوعات التقليدية :**

كما فعل الشعراء الإحيائيون في الانطلاق من أغراض الشعر العربي التقليدية الموروثة، يفعل ابن شهاب الأمر ذاته، فهو يتوسلها في شعره لبيان مفهومه للشعر و وظيفته في الحياة، ولذلك نجدها تعد أبرز شواغل النص موضوعيًا حتى لتربو على الثلثين من مجموع شعره. ولقد احتوتها أغراض شتى كالمديح والغزل والرثاء والهجاء والفخر والحماسة وغيرها، متداخلة تارة ومستقلة بذاتها تارة أخرى وهي في ذلك كله التزمت في بنيتها العامة عمود الشعر بمفهومه البلاغي.

أ - المديح :

١- المديح في الشعر العربي :

المديح جزء من الشعر العربي واكبه منذ ظهوره ولايزال يعيش معه. وكانت

ترتفع منزلته وتنخفض حسب المرحلة الزمنية ومستوى الشعراء الذين يقدمونه وطبيعة ممدوحيهم. ونشأ فن المديح في الشعر العربي الجاهلي يتغنى بالقيمة التي تحرص عليها التقاليد القبلية، فالواقع أن المجتمع العربي في العصر الجاهلي كان مجتمع فروسية، فكانت القيم فيه قيمًا جماعية أكثر من كونها قيمًا فردية[١]. إذ نجد في "شعر المديح الجاهلي مجموعة من الفضائل الإنسانية التي تجري عليها أحكام التغيير والتبديل"[٢]. فلم يكن المقصود من المديح هنا كسب المال أو المنفعة الفردية غالبًا فلقد "كانت العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشعر إعظامًا لها"[٣]، فبرزت تلك القيم والفضائل التي تغنى بها الشاعر الجاهلي كالعقل والعفة والعدل والشجاعة، ولقد سار هذا النوع من المديح للقيم والمثل العليا الجماعية مع مدح القيم في شبه ظاهرة فردية في العصر الجاهلي وتطور حتى أصبح ملمحًا عامًا يميز شعر المديح عن غيره من فنون الشعر الأخرى، وهو ما نجده قد نشأ عند النابغة الذبياني الذي مدح الملوك وقبل الصلة على الشعر ولكن تبرز هذه الظاهرة عند الأعشى إذ جعل الشعر جسرًا إلى الحكام ومتجرًا يتجر به نحو البلدان وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته بل عدّ أول شاعر سأل بشعره[٤]، وهذا يعني أن قصيدة المدح

---

(١) ينظر: قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، أيمن محمد زكي العشماوي، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص١٦.

(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د/ محمد مصطفى هداره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م ص٣٩.

(٣) العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص٨٦.

(٤) ينظر: العمدة، ص٨٦.

في العصر الجاهلي لم تتجه كليًا إلى التكسب بل اتجهت إلى القبيلة كذلك خاصة في شعر النابغة وزهير وسواهما[١].

ظل الأمر في صدر الدولة الإسلامية على حالة حيث أضاف الإسلام قيمًا جديدة حلّت محل القيم الجاهلية أو ثبّتت بعضها، وكانت محتاجة هي الأخرى إلى من يؤكدها ويتغنى بها وكان هذا دور شعراء الرسول ﷺ مثل حسان ابن ثابت وغيره[٢].

ولقد تطورت قصيدة المديح في صياغتها الشعرية و تحقق تطور ملحوظ في شكل المدائح التي كانت لا تتعدى المقطوعة أو بعضها فأصبحت قصيدة مستقلة منفصلة ازدادت في الطول أحيانًا لتشمل ثمانين بيتًا أو أكثر، فتنوعت أغراضها الشعرية التي تتظمنها إلا أنها كانت كلها تمثل وحده بناء محكمة لها قيود وتقاليد وضع أسسها هؤلاء الشعراء الرواد[٣] وهو ما عرف بنهج القصيدة كما يذكره ابن قتيبة محددًا بها الشكل الفني لقصيدة المديح[٤] الذي ظلت فاعليته الموضوعية والبنائية محافظة على كثير من قيمها في العصر الأموي، وبتطور الحياة الفكرية وتعقدها في العصر العباسي تطورت قصيدة المديح فظهرت اتجاهات عديدة وطرأ هذا على الشكل والمضمون معًا. فمن ناحية الشكل تغير التقليد البنائي، وبدأ الشعراء "يفتتحون هذه القصائد بوصف الخمر والتعبير عن إقبالهم على ملذات الحياة"[٥]، كما ظهرت

(١) ينظر: قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، ص٢١.
(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص٢٠.
(٣) قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، ص ٢٢، ٢١.
(٤) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، ط٢، دار المعارف، مصر١٩٦٦، (١/ ٧٤).
(٥) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، ص٣٧١.

مدائح تجاوزت القيم والأفراد إلى مدح المدن والتعصب لها، وذلك منذ القرن الثاني الهجري وخاصة الكوفة والبصرة وبغداد[١]، وظهرت الفرق الإسلامية والتصوف وهو ما أدى إلى ظهور نوع جديد من المدائح "يتوجه بها أصحابها إلى الذات الإلهية يمتدحونها مستغنين بها عن البشر وما يضطرون إليه من كذب ونفاق في مديحهم"[٢]، كما برزت الطبيعة السياسية نتيجة للصراع الحزبي والمذهبي.

لم يخرج شعر المديح عند الشعراء الإحيائيين في الوطن العربي عن نهجه التقليدي، وإطاره العام وفق أصوله وتقاليده من حسن الإصابة والقدرة على أن يكون الشاعر عدلاً بين موضوعات قصيدة المديح "فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدًا منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيُملَّ السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد"[٣].

كان المديح من بين أغراض الشعر التي استوقفت الشعراء الإحيائيين فلقد أمسك هؤلاء الشعراء بخيط التواصل مع الموروث الشعري حيث انقطع عند عصور الشعر العربي وآخرها العصر العباسي، وكانت هذه العودة ضرورية كيما يأخذ الشعر العربي نهجه السليم في التطور[٤] إذ حاكوا أغراض الشعر القديم مع إلباسها بعض المعاني الجديدة، كما حاكوا أحيانًا القدماء في أسلوبهم، والتزموا بناء قصيدة المديح في الطول، وتعدد

(١) قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، ص٢٣.
(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، ص ٣٧١.
(٣) الشعر والشعراء، (١/ ٧٤).
(٤) ينظر: أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ص ٣١.

الأغراض الشعرية التي كانت تدور عليها وتلتزم بها كالغزل والنسيب ووصف الرحلة ومن عليها ووصف الخمرة والمديح ولكن باختلاف في تداول بعضهم هذه الأغراض وانصرافهم عن بعضها مع الاحتفاظ بالغرض الرئيس وهو المديح، ويمكن القول إن قصيدة المديح "كانت تتنقل بشكل عام بين مراحل ثلاث أساسية هي المقدمة والرحلة والمدح"[(١)]، ورغم أن الحياة العربية تطورت وتقدمت إلا أننا نجد الشعراء في كل العصور قد حرصوا على الالتزام بهذه الأصول مع اختلاف بينهم كان مرجعه "إلى اختلاف المكونات البيئية التي رفدت حياة كل شاعر وشكلت عقليته"[(٢)]، لقد قام الشعراء الإحيائيون في الوطن العربي بوظيفة كبرى إذ رجعوا بالشعر إلى صياغته الطبيعية الحرة التي تستمد جمالها من جزالة الأسلوب وصياغته[(٣)]، مع اعتقادهم أن إحياء فن المديح ما هو إلا إحياء للقيم الشعرية التي يرى كل منهم أنه مسؤول أن يحييها وأن يمجدها.

٢- أنواع المديح في شعر ابن شهاب :

جاء فن المديح في شعر ابن شهاب متميزًا على الأغراض الأخرى. ولقد التزم فيه بنية القصيدة ابتداء بالمطلع الغزلي والغرض الرئيس ليضيف إليه أحيانًا وصف الرحلة. وقد تتخلله بعض الأغراض الأخرى كالفخر والهجاء مع التزامه وعدم خروجه على المفاهيم النقدية التي تجعل من

---

(١) ينظر: قصيدة المديح عند المتنبي وتطورها الفني، ص٢٨.

(٢) آفاق الشعر الحديث والمعاصر في مصر، د/ عز الدين اسماعيل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٥.

(٣) ينظر: الأدب العربي المعاصر في مصر، د/ شوقي ضيق، ط٦، دار المعارف، مصر، ص ٤٦.

الإصابة وحسن التخلص والخاتمة ووصف الممدوح منهجًا على الشاعر ألا يخرج عنه، وهو في التزامه لهذا الغرض وغلبته على شعره إنما يلتزم النهج البارز في الشعر العربي القديم وفي عصر الإحياء، مع عدم إلغاء التجربة الشخصية كغيره من الشعراء، وأن يتخذ منها ركيزة لشعره، ولقد كان حريصًا على أن يعيد صوت الشاعر القديم إلى أسماع الناس فهو كان مقلدًا في الشعر من حيث الأداء، وكان أيضًا راغبًا في أن يخلص لتجربته الشخصية[1]، ولقد اتخذ فن المديح في شعر ابن شهاب نوعين محددين هما المدائح الدينية ومدائح الأمراء والملوك.

٢/١ المدائح الدينية :

المدائح الدينية هي التي تنطلق من مفهوم ديني بحيث تتميز بأنها تنبعث من قلب تشبع بحب من انطلق في مدحهم وخاصة الرسول ﷺ، وآل بيته، وصحابته، وبعض أهل العلم والفضل في عصره الذين يكنّ لهم الحب والتقدير لفضلهم وعلمهم، وهو في مدائحه الدينية يصف ممدوحيه بصفات أخذت من المصدر الديني كالقرآن والسنة. ولقد خص الرسول ﷺ بقصيدتين[2]، إحداهما نرى فيها أثر الصنعة واضحًا إذ إنها اعتمدت في صياغتها على الحروف المهملة وهي تظهر مقدرة الشاعر اللغوية أما الأخرى وهي التي افتتح بها ديوانه فقد بلغت أبياتها مائة وبيتين[3]. وهي تأخذ البناء التقليدي لقصيدة المديح ابتدأ بالمطلع الغزلي الذي نلمح فيه تلك الروح الصوفية التي تشبعت بحب الرسول ﷺ والتعلق به وما يعانيه من شدة

(١) ينظر: آفاق الشعر الحديث والمعاصر في مصر، ص٣٣.
(٢) ينظر: الديوان، ص٢٠-٢٥. (٣) المصدر نفسه، ص٢٠.

الوجد. ثم يعرج إلى وصف رحلته إلى الرحاب الطاهرة وما لاقاه فيها من عناء ومشقة[1]. وهو لا يسترسل في المقدمة الغزلية ولا وصف الرحلة إذ لا يستغرق فيها أكثر من سبعة عشر بيتًا، إذ يدخل في الغرض الرئيس للقصيدة، فسيتطرد في سبعين بيتًا في مدح الرسول ضافيًا عليه كل المعاني والصفات الدينية، ومظهرًا قداسة الأماكن وطهارتها، كاشفًا عن صفات الرسول ﷺ التي أكسبته منزلة عظيمة ارتقى بها إلى مقام أعلى كما أنه يبين أهم المحطات الرئيسة في حياة الرسول ﷺ، سواءً قبل البعثة أو الهجرة أو الاستقرار في المدينة[2]. ثم يختتم القصيدة بالدعاء والصلاة على رسول الله طالبًا منه الشفاعة شاكيًا له ما حل به وما أصابه من أهل بيته وبلدته مادحًا فيها قصيدته بالصدق كما في قوله :

إليك ابن عبدالله وافيت مثقلاً
بأوزار عمر مر معظمه لهوا
غفلت عن الأخرى وأهملت أمرها
وطاوعت غي النفس في زمن الغلوا
ومنك رسول الله أرجو شفاعة
تغادر مسود الصحائف ممحوا
ولي في عريض الجاه آمال فائز
بما رامه من فيض فضلك مبدوا
ومن سرك ابذر في فؤادي ذرة
لأرجع بالعلم اللدنّي محبوا

(١) ينظر المصدر السابق، ص ٢٠-٢١. (٢) المصدر نفسه، ص٢١- ٢٤.

على عتبات الفضل أنزلت حاجتي
وتالله لايمسي نزيلك مجفوا
وقد صح لي منك انتماء ونسبة
إليك لسان الطعن من دونها يكوى
وأنت الذي تؤوي النزيل وتكرم السّـ
ـليل وترعى الجار والصهر والحموا
وقد مسني من أهل بيتي وبلدتي
أذى وكثير منهم أكثروا العدوا
فكن منصفي فالصبر ضاق نطاقه
وخذ لي بحقي يابن ساكنة الأبوا[1]

وهي لا تحيد في بنيتها عن شعر المدائح النبوية فهي تسير على خطها، إذ نجد فيها صدق العاطفة وحرارة التجربة مع احتفاظها بخصوصيات تعكس لنا تجربة الشاعر الشخصية، واستقلاليته في إبداع نصه ليدل على ذاته هو، التي تشبعت بحب الرسول ﷺ وهذا النمط البنائي لقصيدة المديح هو البارز في مدائحه لآل البيت والصحابة[2]. إذ يحتفظ فيها بنهج وتقسيمات فن المديح في الشعر العربي، لكننا نلمح بروز التشيع لآل البيت وخاصة الإمام علي كرّم الله وجهه، إذ يستعمل في مدحه بعض الألفاظ ذات الصبغة الشيعية[3]. كما أنه لم يقتصر على تلك المدائح الدينية المخصوصة بالنبي وآل البيت والصحابة فقط

(١) المصدر السابق، ص٢٤-٢٥.
(٢) المصدر نفسه، ٣٠، ٣٩، ٤٣، ١٤١.
(٣) المصدر نفسه، ص٣١، وينظر الصفحات ٣٧، ٤٠، ٤٨.

بل تجازوها إلى مدح أهل العلم والفضل من مفكري العصر لمكانتهم العلمية والأدبية وما قاموا به من دور في نشر العلم في مجتمعهم وبين أوساط الناس وكذا نشرهم للفكر التنويري ودورهم في نهضة الأمة ومن الذين خصهم بمدحه من أهل العلم والفكر والتصوف، أحمد زيني دحلان[١]. وأحمد فارس الشدياق[٢]. والرفاعي[٣]. وهؤلاء كان لهم دور في النهضة الدينية والعلمية والأدبية في الوطن العربي. ولقد اتسمت المدائح الدينية بأنها إما أن تأتي في شكل قصيدة كاملة تلتزم البناء العام لفن المديح أو قد تأتي في قصائد بسيطة أو مقطوعات[٤]. تبدأ بالمديح مباشرة مع احتفاظها بالروح الدينية العامة.

٢/٢ مدائح الأمراء والملوك :

ينطلق ابن شهاب في مدحه الأمراء والملوك من المورث النقدي والشعري العربي إذ يرى أن وظيفة الشعر هي مدح الحاكم وإبراز صفاته وبطولاته وأعماله العظيمة التي أنجزها. وتختلف آراء النقاد حول مدائحه والغرض منها، فمنهم من يذهب إلى أنها لغرض طلب المال والجاه وهو فيها كغيره من شعراء البلاط[٥]. بينما يذهب آخرون إلى أنه في مديحه لأرباب الجاه والمال لم يكن من شعراء البلاط بقدر ماكان يقول الشعر لذاته بدليل عدم تقديمه لقصائده الأرتقية لخديوي مصر مثلاً[٦]. ونحن

(١) الديوان، ص٦٠، وهو مفتى الشافعية بمكة.
(٢) المصدر نفسه ص١٠٥-١٠٦، مؤسس صحيفة الجوائب.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٠-٢٤٥. (٤) المصدر نفسه، ص٤٦، ٤٧.
(٥) ينظر: شعراء اليمن المعاصرون، ص ٢١٢.
(٦) ينظر أدوار التاريخ الحضرمي، ص٤٦٠، وينظر: لمحات عن شاعر اليمن المجهول، ص٢٤.

نذهب إلى أنّ ابن شهاب كغيره من الشعراء مدح طلبًا للجاه والمال كما مدح حبًا وإعجابًا بالشخصية الممدوحة ذاتها، وهو رأي تؤيده الشواهد من شعره[١]. كما يؤيدها إحساسه اللاحق بالندم لمدح هؤلاء الحكام، أما ممدوحو ابن شهاب من الأمراء والملوك والحكام فإنهم كثيرون ابتداء بالسلطان العثماني عبدالحميد[٢]. مرورًا بحكام الإمارات والمحميات اليمنية في حضرموت ولحج[٣]. وحكام مصر[٤]. وأفريقيا[٥]. وانتهاء بمدحه لسلطان حيدر آباد الدكن بالهند[٦]. وهو في مدائحه هذه إنما يساير أغلب شعراء العرب في القرن التاسع عشر، ويغلب عليه التقليدية بافتتاحه القصيدة بالغزل التقليدي وإسقاط بعض الصفات على الممدوح كالكرم والشجاعة والعقل، وبسط الأمان ونشر العدل وغيرها من الصفات الدالة ولكن لانعدم بروز عاطفة صادقة في بعض قصائده المدحية كما في قوله في مدح محبوب علي خان :

سامي المقام أغرّ الوجه مسفره ... زاكي النجار حسيب الأصل معرقه
من دوحة في روابي العزّ منبتها ... وماء عين العلا فيها تدفقه
خيار من ملك الدنيا أبوته ... ورهطه لرهان المجد سبقه
أصول مجد إلى الصديق نسبتهم ... وشاهد القول أفعال تصدقه

---

(١) ينظر الديوان، ص٩٣. (٢) المصدر نفسه، ص٢٠٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١١٨ وينظر الصفحات ص١٢١، ١٢٥، ٢٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص٧٩، ولقد مدحه بعدد من القصائد سميت بالأرتقيات تبلغ ست عشرة قصيدة.
(٥) المصدر نفسه، ص١٣٣ وينظر ٢٠٧.
(٦) المصدر نفسه، ص١٠٩ وينظر الصفحات، ١٢٨، ١٧٥، ٢٢٥.

كأنهم عقد زهر في تناسبهم يد الخلافة للهادي تنسقه
جاءت بأكرم فرع طاب منشؤه وخير من أمل الراجي يحققه
صافي الرغام فلم يلمم به أشب يشين أو قتر في الوجه يرهقه[1]

كما أننا لا نعدم في مدح الملوك والأمراء تلك الروح الإسلامية التي تغلب على بعض مقاطع شعره والتي نحس فيها أن الشاعر يرى في الممدوح حامي الدين وركن الإسلام، بوصفه الحاكم المسلم الذي ينشر العدل بين الرعية.

٣- مفهوم المديح عند ابن شهاب :

ينطلق ابن شهاب في شعر المديح من مفهومه الخاص للشعر ووظيفته العامة، كما أنّه يلتزم فيه التشكيل العام الذي يقوم على النمط التقليدي للبنية في إطارها التراثي، وقصيدة المديح عنده تأتي في مجملها مركبة ويندر أن تأتي بسيطة أو في شكل مقطوعة، إنّ عدم التحرر من أسلوب القصيدة القديم عند الشعراء الإحيائيين يعود لشدة ما علق في ذهنهم من محفوظات الشعر القديم وبيان مقدرتهم في اللغة، كما أنهم يرون أن هذا واجب عليهم تفرضه ظروف المرحلة التي رأوا أن على عاتقهم إعادة الروح لها بإعادتها إلى صفاء الشعر وديباجته. ولذلك نلاحظ أن طبيعة المديح في شعر ابن شهاب لم تخرج عن شكل القصيدة القديمة التي احتفظت بسماتها العامة فهي تبدأ بالمطلع الغزلي ثم تخلص إلى المدح. كما نجده يهتم اهتمامًا كبيرًا بالمطلع لماله من أهمية خاصة فهو الدال على البيان والشعر كما يذهب النقاد وهو قفل أوله مفتاحه[2]. ومعنى هذا أنه يجب أن يكون المطلع أول ما ينظم من القصيدة

(١) الديوان، ص١٧٧.
(٢) ينظر: العمدة، ص٢٢٥.

إيذانًا بفتح بابها المغلق[١]. وقد التزم ابن شهاب في شعر المديح بمعايير القدماء في المطلع الذي يرونه أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده المتنزل من القصيدة منزلة الوجه والغرة، فإذا كان بارعًا وحسنًا بديعًا وحليمًا رشيقًا، وصدر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أشرب بما يؤثر فيها انفعالاً ويثير لها حالاً من تعجيب أو تهويل أو تشويق كان داعيًا إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده[٢]. مع مراعاة القاعدة البلاغية (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) التي طبقوها على المطلع حين أرادوه أن يكون متمشيًا مع موضوع القصيدة ومع من تقال فيه[٣].

لقد أولى ابن شهاب عناية للمطالع في قصائد المديح فجاءت حسنة غير معيبة انبعثت من شعور صادق وتجربة حيه كما في قوله :

بشراك هذا منار الحي ترمقه وهذه دور من تهوى وتعشقه[٤]

وقوله :

بهزك غصن القد ماذا تريدينا وماذا بلغز العين في السر تعنينا[٥]

ومما يلاحظ على المطالع في قصيدة المديح عنده أنها في أغلبها فخمة لها روعة وعليها أبهة، وأنها بعيدة عن التعقيد.

---

(١) بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د/ يوسف حسين بكار، ط٢، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص٢٠٣.

(٢) ينظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الفكر العربي، ١٩٧١م ص٤٣٥.

(٣) ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ص٢٠٥.

(٤) الديوان، ص١٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٢٦، ولمزيد من الأمثلة ينظر: الصفحات، ٤٣، ٥٥، ٥٩، ٩٦.

كما جاءت المقدمة في قصيدة المديح عند ابن شهاب بوصفها تقليدًا متبعًا لا يمكن للشاعر أن يخرج عنه، ولذلك نوّع ابن شهاب وحاول جاهدًا أن يجدد في بعض تلك المقدمات ففي مقدماته نجد المقدمة الغزلية[١]. والخمرية[٢]. والحماسية[٣]. وما نلاحظه أنه فيها متأثر بشعر العصر العباسي الذي شهد نوعًا من التمرد على المقدمة الطللية مع احتفاظه بالنسيب ووصف الخمر والحوار والإيحاء بالتجربة الشخصية.

كما التزم ابن شهاب في قصيدة المديح متعددة الأغراض بالخروج من جزء إلى جزء خروجًا يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها، لا بوجود حواجز واضحة بينها وهو ما يسمى بحسن التخلص والذي عرّفه النقاد بأنه "أن يتخلص الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسًا رشيقًا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالبٍ واحد"[٤]. وجاء حسن التخلص في شعر ابن شهاب جيدًا فلا نحس أن الكلام انقطع أو أن هناك حشوًا وتضمينًا واضطرابًا وقد يأتي التخلص في شعره في شطر بيت كما في قوله متخلصًا من الغزل إلى مدح آل البيت :

ليس إلا لها وللنفر البيض بنظم القريض يجري جياده[٥]

(١) المصدر السابق، ص٢٧. (٢) المصدر نفسه ص١٠٧.
(٣) المصدر نفسه ص١٥٤.
(٤) بناء قصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، ص٢٢٢، وينظر مصدره.
(٥) الديوان، ص٤٤.

أو يأتي في بيت بجملته كما في قوله :

وهل غير ساقيها بأقداح راحها
عن الغي يهدي العمي أو يسمع الصّما
نعم إنه الفرد ابن دحلان أحمد
إمام الورى طرًا وأوسعهم علمًا[1]

كما أنه قد يأتي في بيتين اثنين[2]. وهو ينماز بقرب السبيل وعدم نشازه وتنافره.

تعد خاتمة القصيدة عند النقاد وفي عرفهم قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، فسبيله أن يكون محكمًا، وان يكون قفلاً كما كان المطلع مفتاحًا[3]. ولقد سموه المقطع ولذلك اشترطوا فيه أن يكون الافتتاح في كل غرض بما يناسبه، وأن يكون اللفظ مستعذبًا والتأليف جزلاً متناسبًا[4]. وأن يكون أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها، ولقد جاء المقطع في قصيدة المدح في شعر ابن شهاب في أغلبه مادحًا لقصيدته مختتمًا بالصلاة على النبي ﷺ[5]. أو يختمها بمدح قصيدته فقط[6]. وقد يأتي المقطع وفيه نوع من الصنعة من خلال ختم القصيدة ببيت يؤرخ للمناسبة التي قيلت فيها[7]. غير أننا لا نعدم بعض المقاطع التي نحس

(١) المصدر السابق، ص٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١٧٦، وينظر، ص١٥٠. (٣) العمدة، ص٢٤٣.
(٤) منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الجيب بن الخوجه، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٦٦م، ص٣٦٠.
(٥) الديوان، ص٣٥، وينظر أيضًا، ص٤٧، ص٧٣.
(٦) المصدر نفسه، ص١٢٠. (٧) المصدر نفسه ص٨٥.

فيها بعض الحكمة أو الشوق أو الحنين كما في قوله :

وإليكما ورقاء تسجع بالثنا من ذي وداد وجده قد هاجا
ناءٍ بأعلى حضرموت مقامه متجرعًا كأس البعاد أجاجا[1]

لقد كان دافع المديح في شعر ابن شهاب يأتي من بعدين رئيسين أولهما : مفهومه لوظيفة الشعر كإبداع يمجد الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة والقيم الجماعية أو الفردية التي يرى أنها تستحق أن تبرز وتخرج في قالب فني جميل. أما البعد الآخر فهو ما جبل عليه الشعراء من حب الحظوة والجاه والمال من الممدوح وهي وظيفة الشعر منذ أن أصبح مهنة يعايشها الشعراء. وهي تتشكل فكريًا وإبداعيًا من خلال قناعات الشاعر التي تعكس مجمل القيم المثلى التي يريد أن يجلّيها، ولذلك نلاحظ إنها تتمثل بشعر المديح عمومًا، إذ تجعله المنبع الذي تستقى منه التجربة والأساس الذي تقوم عليه فلا نرى فيها خروجًا على الشكل التقليدي ولا المضمون العام لقصيدة المديح في التراث العربي فلقد تشربت كل القيم المثلى في شعر المديح العربي، من دون أن تغفل التجربة الشخصية المعبرة عن الشاعر الذي له خصوصياته الدالة عليه. وهي تنماز بأنها تراوحت بين الالتزام بالخط التقليدي[2]، مع إضفاء الذاتية التي توحي لنا بصدق التجربة وحرارة العاطفة[3]. وهي محاولة ترتقي عاليًا في مستواها الفكري والإبداعي أحيانًا مثلما تختنق في أحيان أخرى بمعاني الشعر القديم وترتكن إلى التقليد.

---

(١) المصدر السابق ص١٠٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٧ إذ نرى فيها صورة تقليدية بحتة.
(٣) المصدر نفسه، ص١٧٥ ففيها نجد ذات الشاعر وتجربته الشعرية الصادقة.

ب - الغزل :

يعد الغزل غرضًا من أغراض الشعر العربي إذ أنه يشكل حضورًا كبيرًا في القصيدة العربية ولا سيما حين يأتي في مقدمتها[١]. وتعددت الآراء والدراسات النقدية قديمًا وحديثًا في تبرير حضور الغزل بهذه الأهمية فمنهم من يذهب إلى القول إنه : "يميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، ولأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب"[٢]. وهو ما يذهب إليه أيضًا ابن رشيق إذ يرى فيه استدراجًا لما بعده[٣]. ولقد ظل غرض الغزل "يعبر عن تجربة الإنسان وشعوره، بكل صدق وبلا حدود وامتيازات بين هذا وذاك، وظل حيًا يعبر عن عواطف الناس دون انقطاع أو اغتراب، وباختلاف الأزمنة والعصور والبيئة، فأصبح قاسمًا مشتركًا بين الشعراء بمختلف شخصياتهم"[٤].

الغزل في شهر ابن شهاب :

جاء الغزل في شعر ابن شهاب ثانيًا في الأغراض التقليدية التي طرقها، وهو في تناوله إياه إنما ينطلق من مفهومه الخاص الذي يرى أن النسيب هو أسمى أغراض الشعر، وكذلك تقليدًا لما هو متبع في القصيدة العربية التي تبدأ بالمطلع الغزلي، لقد وصف ابن شهاب شاعرًا "مرهف الإحساس سريع التأثر يطرب للقاء بكل شعوره، ويبكي للبين من كل جوانحه، ولم يأت إحساسه من فراغ، فذلك الإحساس والشعور أسير بين يديه يسيطر على كل

---

(١) ينظر: في الشعر الجاهلي، د/ رعد أحمد الزبيدي، ط١، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص١٤٩. (٢) الشعر والشعراء، (١/ ٧٥).
(٣) ينظر: العمدة، ص٢٣١. (٤) في الشعر الجاهلي، ص١٥٠.

ميوله ويحجم عن كل رغباته ونزواته بزمام التقوى"[1]. كما في قوله :

أنا من هوى سود الذوائب ذائب أصلت مودتهن في كبدي ضرم
ولطالما دعت المحبة والهوى لعناق خرعبة يزول به السقم
فيصدني عنها مخافة خالقي وعفاف نفسيِ والمروءة والكرم
ماالحب للعشاق إلا محنة سبق القضاء بها عليهم في القدم[2]

يأتي الغزل في شعر ابن شهاب على شكلين أولهما : القصائد والمقطوعات الغزلية التي تقتصر عليه وحده، وتمتاز بأنها تعبر عن تجربة وعاطفة صادقتين توحي لنا بوجدانه الرقيق وتعكس لنا ذاته التي تميل إلى إخراج شعر حي له نفثاته الحارة. كما انماز بالرقة والعذرية التي نستشف منها الحرمان الذي يعانيه الشاعر والعذاب واللوعة[3]. فهو ذلك المريض الذي لا يشفيه إلّا زيارة المحبوبة وهو الخبير بها كما في قوله :

أما لبدور التمّ نور ولألآء بلى ولها البيض الكواعب أكفاء
وأين بدور التم من بيض أوجه تميس بها سلمى وميّا وأسماء
وجوه لها زهو بغر جباهها وغمز بسينات الجبين وإغراء
فتقضي لها العينان جورًا بما اشتهت فحجتها بالأعين السود بيضاء[4]

أما الثاني : فهو المطلع الغزلي الذي يستهل به قصائد المديح بوصفه تقليدًا متبعًا يسير الشاعر في دروبه على وفق أسس فنية قديمة. وهو كغيره من الشعراء الإحيائيين الذين قلدوا القدماء في مطالعهم إذ هو فيه "لا يقصد

(١) لمحة عن شاعر اليمن المجهول أبي بكر بن شهاب، ص٤٤.
(٢) الديوان، ص٢١٣. (٣) المصدر نفسه، ص٢١٦.
(٤) المصدر نفسه، ص٧٨.

رسمًا ولا دارًا حقيقية، وإنما يريد إلى الرمز بهذا العنصر"[١]. ولئن كان المطلع الغزلي في شعر ابن شهاب قد أتى في أغلبه تقليديًا إلا أنه استطاع أن ينوع فيه، بحيث يبرز لنا ذاته، وقد جعل لنفسه منهجية واضحة استطاع من خلالها أن يبعث الحياة والحركة في شعره بحيث تجده قد سكب فيها روحه وذاته،، فهو لا يبكي على أطلال قد عفا عليها الزمن وإنما يعبر عن شوقه وحنينه للأهل والأحبة والوطن، والمكان الممتلئ بالحياة والحركة والناس والحبيبة[٢]. فهو ينطلق في الأغلب من أزمة الفراق إلى كل ماله علاقة بمن يوجه إليه تلك المقدمات الغزلية.

تبدو وجهة الغزل في شعره في الغالب عليها عذرية عفيفة يصور فيها حبه وشوقه وحالته النفسية من جراء فراق الحبيبة له وبعدها عنه[٣]. ولكنه قد ينحو في غزله منحى آخر فيصف أعضاء المحبوبة وصفًا حسيًا ظاهرًا[٤]. وفي مطالعه الغزلية نجد تنويعًا فهناك المطلع الغزلي الخالص الذي يفتتح به كلامه والذي يصور فيه حبه للمرأة وميله إليها، وشدة تعلقه بها واصفًا حالة الوجد التي تعتريه[٥]. كما في قوله :

من غرامي بقرطها والقلاده ... إن أمت مغرما فموتي شهاده
غادة حل حبها في السويدا ... ورمى سهمها الفؤاد فصاده
نحوها تنزع النفوس فتلقا ... ها لداعي مزارها منقاده
وإذا عرج النسيم عليها ... هز تلك المعاطف المياده

(١) فصول في الشعر ونقده، ص٢٧٥.
(٢) ينظر: الديوان، ص ١٧٣، ١٧٤.
(٣) المصدر نفسه، ص٤٣.
(٤) المصدر نفسه، ص١٤٥.
(٥) المصدر نفسه، ص٥٧.

زارني طيفها ومنّ بوعد هل ترى الطيف منجزًا ميعاده[١]

وقد يدخل فيها المحاورات الغزلية التي يدور فيها الحديث بينه وبين المحبوبة، وهي تتفاوت بين العمق والامتزاج[٢]. أو التقريرية المباشرة والسطحية[٣]. ويأتي به من أجل التخلص إلى مدح الممدوح[٤]. وهو ما "انفرد به عن كثيرٍ من الشعراء بأسلوب رقيق يجعل المتذوق له يرقص طربًا لعذوبة لفظه وجودة سبكه ولخياله الواسع"[٥]. كما نجد عنده المطلع الذي تشبع بالرمزية الصوفية التي تسبح في بحر الحب الإلهي باعتمادها الرمز ركيزة تتأسس عليها القصيدة، باندماجها مع فضاءات اللاشعور التي تصيبه في لحظاتٍ الوجد الشعري[٦]. كما يتداخل في مطالعه التغزل بالخمرة مما يضفي على النص بعدًا آخر، إذ يجعله منسابًا في الرقة مظهرًا تجليات العاشق الذي أخذته نشوة العشق، حتى لكأنه أصبح سكران كما في قوله :

شعاري شعار الشاربين ومذهبي هوى ظبية الوعساء ضامرة الأحشا
شموع يدار الكأس بيني وبينها إذا شربت نشا سقتني به نشا
شفاها تجاذبنا حديث ائتلافنا فلا حالنا تدرى ولا سرنا يفشى[٧]

ويمكن القول إن السمات العامة للغزل في شعر ابن شهاب تتأطر في بعدين رئيسين أحدهما : أنه شعر وجداني رقيق يعبر عن تجربة شخصية

(١) المصدر السابق، ص٤٣-٤٤. (٢) المصدر نفسه، ص٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٩. (٤) المصدر نفسه، ص١٥٠.
(٥) لمحة عن شاعر اليمن المجهول أبي بكر بن شهاب ص٥٠.
(٦) ينظر: الديوان، ص٥٩. (٧) المصدر نفسه، ص١٥٧.

صادقة وعاطفة حية تدل على وجدانه وذاته، وثانيهما: ونلمح فيه ذلك الاتجاه الغزلي المتأطر على وفق الموروث النقدي والشعري الذي تأسست عليه تجربة ابن شهاب أسوة بمعاصريه من شعراء الإحياء في الوطن العربي الذين عادوا إلى القديم متأثرين به وباعثين له في آنٍ معًا، متخذين من شعر العصر العباسي الذي يعدّ مرحلة الرقي والتطور التي وصل لها الشعر العربي القديم مثلاً يحتذونه.

ج - الهجاء :

الهجاء من الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء قديمًا وحديثًا، وقام على الطعن الشخصي الذي يراد به الحط من مكانة الشخص أو أهله، لا لقصد إصلاحي بل تشفيًا وتفاخرًا[(١)]. فالشاعر العربي القديم كان يهجو القبائل المعادية لقبيلته، وينال من روسائها مظهرًا مساوئهم مع الخشونة والإقذاع. ولقد استمر هذا النوع من الهجاء إلى العصر الحديث[(٢)] وهو لم يرتق كفن يصور المساوئ الشخصية أو الاجتماعية، ويعرضها بقالب يثير في النفس كراهية تلك المساوئ، لذا فإن شعرنا العربي الهجائي في كل أطواره لم يصل إلى تلك الدرجة الراقية إلا نادرًا، فالهجاء الفني يقتضي أمرين: الفكاهة أو الدعابة، وحسن التصوير، الأول يرفعه عن الخشونة والإقذاع، والثاني يضعه في صف الفنون الجميلة[(٣)].

---

(١) ينظر: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ط١٢، دار العلم للملايين ١٩٧٩م، ص٢٩٠. (٢) ينظر: في الأدب الحديث، (١/ ٢٢٠).
(٣) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص٢٩٠.

الهجاء في شعر ابن شهاب :

جاء الهجاء في شعر ابن شهاب على ثلاثة أنواع: الهجاء الديني المتكئ على الدين وقيمه في توضيح أرائه، وهو مانجده في شعره مبينًا موقفه في تفضيل آل البيت على غيرهم وأحقيتهم بالخلافة والحكم وهجائه بعض الشخصيات هجاء مقذعًا ولاسيّما أولئك الخلفاء الذين وجدهم[١]. قد خرجوا بالخلافة وكثير من القيم الإسلامية الأساس، ومن هذا النوع من الهجاء عنده ذلك الذي وصف به بعض الصوفية وغيرهم الذين يتظاهرون بالدين ويقومون بأعمال تنافيه[٢]. كما نجد عنده ما يهجو به الوهابية[٣]. وبعض الشخصيات الإسلامية[٤]. وهو هجاء وإن تدثر بالدين إلا أننا نراه هجاء شخصيًا أسقط فيه التهم على مهجويه ومخالفيه بشيء من الخشونة والإقذاع.

أما النوع الثاني فهو الهجاء العنصري القائم على تفضيل جنس على جنس وهذا النوع "يكشف عن روح عنصرية تؤمن بتفضيل عنصر على عنصر وهي غريبة عن الإسلام تمامًا"[٥]. كما في هجائه أحمد محمد سوركتي إذ يقول :

قل لابن سنار بؤتا ... بالإثم فيما اقترفت
أغلاط حمقك في صو ... رة الجواب أبنتا
ركبت صعبا ووعر الـ ... ـتيه المخوف اقتحمتا
أأنت بالنكر أفتيـ ... ـت أم قرينك أفتى

(١) ينظر: الديوان، ص١٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٣، ١٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٨٠.
(٥) شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٠٥.

أم صـــبـــوة ابـــن أبـــيّ تـــعـــروك وقـــتـــا ووقـــتـــا
ذات الـــنـــبـــي وذات الـــز نـــخـــي ســـيـــان قـــلـــتـــا
دم ولـــحـــم وعـــظـــم والـــفـــرق فـــيـــهـــا جـــحـــدتـــا
هـــذا الـــعـــتـــو عـــلـــى الـــلـــ ـه والـــجـــرأة بـــحـــتـــا
مـــا قـــالـــه قـــبـــل شـــخـــص وإن يـــكـــن مـــنـــك أعـــتـــى[1]

ومن هذا النوع المتكئ على تفضيل عنصر على آخر هجاؤه المرأة[2]. والذي يتطرف فيه ابن شهاب تطرفًا واضحًا فهو يصورها في شعره بأنها أم المصائب ويسقط عليها كل الصفات القبيحة والذميمة وموقفه هذا مأخوذ من العادات التي اختلطت بالدين وأصبحت في نظر الناس جزءًا لا يتجزأ من الإسلام، فهو كثير الاتهام لها سيئ الظن بها. ولاشك في أن هذه الأفكار التي يحملها ابن شهاب عن المرأة ليست جديدة إذ إن لها أصداءً في الشعر العربي خاصة عند الشاعر أبي العلاء المعري الذي هاجم النساء جميعًا[3].

إن هذه الصفات التي أسقطها ابن شهاب على المرأة إنما تأصلت في المجتمع بفعل الظروف التي أحاطت به من تخلف وجهل، مما جعلها تتداخل مع الإسلام الذي كرّم المرأة كأم وأخت وزوجة مخلصة وفيّة، لها حقوق وعليها واجبات.

أما ثالث أنواع الهجاء في شعر ابن شهاب فهو الهجاء الاجتماعي ويراد به ذلك "الهجاء التهكمي الذي يقصد إلى تجسيم عيب من عيوب

(١) ينظر: الديوان، ص٩٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٤، وينظر: ص١٣٢.
(٣) ينظر: فصول في الشعر ونقده، ص١١٠.

المجتمع وتصويره في أبشع صورة رغبة في الإصلاح"[١]. ومن هذا النوع في شعره هجاؤه لمجتمعه الذي اتسم بضعف القيم الروحية، وتهالك الناس على المادة وحلول الدينار محل الصديق والقريب[٢]. كما نه ينتقد المجتمع نتيجة لتفشي الجهل بين أهله وضعف حبهم للعلم[٣]. وهو في هجائه الاجتماعي سبر أغوار المجتمع ويعرض كل النواقص التي وقع فيها داعيًا إلى تركها :

هل يسوغ المقام بين الرفاق في اصطباح من الأذى واغتباق
ليت شعري متى يطيب لنفس الـ ـمؤمن العيش بين أهل النفاق
من جهول طغى به جامح الما ل إلى فد فد الشقا والشقاق
أوغفول بنفسه ظنّ فضلاً يدّعي الفهم وهو طبل العراق
مستحل قطيعة الرحم المنـ ـهي عنها وقس عليها البواقي
يحسب العلم في السبالين والشا ش ونقل الرقى من الأوراق
إنما العلم بالتورع والتحـ ـقيق ترك اختلاس مافي الحقاق[٤]

مناديًا بهجر النفاق الاجتماعي الذي يتسم به بعض الناس[٥].

ولعل أهم سمة تميز شعر الهجاء عند ابن شهاب هو اتكاؤه على الدين مرجعًا يستوحي منه كل مضامينه وأفكاره.

د - الرثاء :

ينماز الرثاء من بين الأغراض الشعرية الأخرى بأنه أجود الشعر وأصدقه

(١) في الأدب الحديث، ص٢٢٠.
(٢) ينظر: الديوان ص١٨٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ص١٨١.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٥١.

لأنه يصدر عن نفس ملتاعة. و يأتي في شعر ابن شهاب في إطاره العام رثاءً للأفراد إذ لم نجد عنده غيره كرثاء المدن مثلاً. و يتسم بأنه لم يكن من شعر المناسبات أو مفتعلاً، وإنما كان منبعثًا عن عاطفة صادقة. وهو في طبيعته لم يخرج عن الموروث الشعري. إذ نجده يظهر التفجع ويبين الحسرة، محكومًا بالتلهف والأسف، كما أنه يظهر محاسن المرثي، مع بعض الحكم التي يتأس بها الشاعر أو يعظ بها غيره، كما يأتي ببعض المعاني القديمة جريًا على سنن من قبله واقتداءً بهم، ومن جياد مراثيه مرثيته في الإمام علي رضي الله عنه[1]. ومرثيته في الحسين ابنه، إذ نجده يكثر من التفجع والشكوى من الزمن والحياة والسخط عليها مع ذكره أبرز محاسنهم، هاجيًا في الآن نفسه قاتليهم متمنيًا أن لو كان معهم ليتحقق له ما يرجوه. بل نجده يصور هول الفجيعة في المصاب الذي حلّ بالأمة بقتل الحسين رضي الله عنه :

براءة بر في براء المحرم عن اللهو والسلوان من كل مسلم
فهل خامر الإيمان قلب امرئ يرى لتلك الليالي لاهيًا ضاحك الفم
ليالٍ بها الخطب الجسيم الذي اكتـ سى به أفق الجرباء صبغة عندم
ليالٍ بها أيدي اللئام تلاعبت بهام بدور للمعالي وأنجم
ليالٍ بها في الأرض قامت وفي السما مآتم أعلى الناس قدرًا وأعظم
ليالٍ بها نتنى الخنازير أولغوا مدى غيهم والبغي في طاهر الدم
ليالٍ بها ذبح ابن بنت محمد وعترته رمز الكمال المترجم[2]

وهو في رثائه لهم يصدر عن عاطفة صادقه مظهرًا الأسى واللوعة وعظيم التفجع من غير موارية أو تحفظ، وهو ما نجده أيضًا في رثائه

(١) ينظر: الديوان. ص٢٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٣٥.

لزوجته وقد ورد إليه نعيها وهو بمصر إذ تتراوح بين صدق العاطفة وحرارة التجربة مع نزوع نحو التقليد للقدماء في شعرهم، فنجده يبدأ بهول الفاجعة واصفًا ماحلّ به عندما جاءه خبر وفاتها، مصورًا حزنه الشديد وألمه لفراقها[١]. ثم ينتقل إلى ذكر محاسنها وشمائلها ونسبها الطاهر وأعمالها الصالحة مسهبًا في تعداد مناقبها[٢]. ثم يبوح بحالته النفسية وغضبه وأمانيه لو أنه قارع الموت الذي سلبها منه لكنه يرى أن هذا قدر الله وعلى الإنسان أن يصبر[٣]. مختتمًا القصيدة بالدعاء لتلك الزوجة باعثًا لها سلامه، سائلاً الله الرحمة والرضوان لها[٤].

ومع التزام ابن شهاب في هذه القصيدة بالنمط التقليدي إلا أنه ينزاح كثيرًا إلى تعبيرات صادقة موحية تدل على حزن الشاعر وصدق عاطفته نحو الفقيدة بحيث ترتقي القصيدة إلى لحظة صدق التجربة والاندماج باحساساته الدالة على عميق حزنه كما في قوله :

وهل بتداول الأيام حزني ... يقل لفقده لا بل يزيد
وهل يبلى معاذ الله ود ... له بالقلب ممتزج أكيد
فلا عيشي يطيب ولا شرابي ... يروق ولا كرى جفني يعود
وتأبى شيمتي أن يزدهيني ... عقود في الخراعب أو بنود
سيبدو لي خيال منه مهما ... تراءت غرةً للعين خود
ومالي في الحياة هوى ولكن ... قضى ببقاي ذو العرش المجيد[٥]

(١) الديوان، ص٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٧-٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٦٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٦٩.
(٥) المصدر نفسه، ص٦٨.

وله مراثٍ أخرى[1]. لم تصدر عن عاطفة وإنما أرسلها على سبيل المجاملة. إذ نجده يستوحي تلك المعاني القديمة ويعكسها على المرثي، مظهرًا صفاته وشمائله مع الدعاء له بأن ينزل الله على جدثه الغيث والرحمة مع ختمها بجملة من الأمثال والحكم الوعظية، فهو فيها يؤدي حقًا وواجبًا عليه تجاه الميت. كما في قوله :

بأرواحنا نفدي الوزير ابن جعفر حليف الوفا المزري ندى بالبرامكه
ترحل عن دار الغرور فهيت له الحور في أعلا القصور أرائكه
قلى عَدَنُا واختار بعد جوارنا وقد حل عَّدنُا كي يجاور مالكه
لقد عاش مابين الآنام مبجلاً وحفّت به بعد الملوك الملائكه
مضى رافلاً في برج عز ورفعة ولم يك إلّا لابس الثوب حائكه
عفاف وأخلاق حسان وهمة أزمّة نجب السؤدد المحض مالكه
فكم نال في الدنيا مراتب لم تنل وقد كان بالتقوى مؤد مناسكه
ومذ غاب أضحت بانتقال سريره أسارير وجه الحمد والجود حالكه[2]

وخلاصة ما يمكن قوله عن مراثي ابن شهاب ما نلمسه فيها من تداخل العاطفة الصادقة والتجربة الشخصية الموحية والدالة مع النمط التقليدي في الرثاء. وهو ما وسم شعره بنوع من البرودة التي لم يغنها استخدامه للمعاني الضخمة التي يظهر فيها شدة فقده للمرثي وما أصابه من حزن عميق، فقد وجدناه أحيانا يدخل في الرثاء البراهين العقلية التي يستنبط منها أهمية المرثي وعظيم منزلته، مما يجرد النص من تلك العاطفة الحزينة ويتكئ على المعاني المتداولة التي تصور الحالة.

(١) المصدر السابق، ص٦١.
(٢) المصدر نفسه، ص١٨٣.

هـ - الفخر :

لشعر الفخر في الأدب العربي منزلة كبرى، وأصالته متجذرة في الشعر نتيجة لما يحمله من قيم جماعية وفردية، إذ إنه يصدر عن تجربة حية للفرد تعبر عن المجموع، والفخر عند النقاد القدامى هو المدح بعينه إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، فكل ماحسن في المدح حسن في الفخر وكل ما قبح فيه قبح في الفخر[1]. و كان الشاعر العربي القديم صوت القبيلة الذي ينطق باسمها، فيعكس مجمل القيم والفضائل التي تتحلى بها قبيلته من نسب وكرم وشجاعة وإقدام. كما أنه يعدد مآثرها وأيامها، ولم يخرج الفخر عن هذه العلاقة بين الفرد والجماعة التي تتداخل وتترابط، وقد أخذ هذا الغرض مساحة تعبيرية مختلفة بعد ظهور الإسلام بما بثه فيه من قيم تطور العلاقة بين الفرد والجماعة بانضوائها تحت لواء الدين وما أسس له من قيم روحية ارتقت فوق العصبية القبلية ليربطها برابط الدين ومثله العليا. ومع تطور المجتمعات أضيف إلى الرابط الجنسي والديني الرابط الوطني من خلال العلاقة بين الفرد وأرضه[2]. وأبناء وطنه.

الفخر في شعر ابن شهاب :

يتكئ ابن شهاب في فخره على عدد من الأسس والثوابت التي يرى فيها قيمًا مثلى يفتخر الفرد بها، وكان للنسب الحظ الأوفر من هذا الفخر نتيجة لانتمائه للأسرة العلوية ويفتخر أيضًا بأجداده وعلمه وأعماله وكرمه

(١) ينظر: العمدة، ص٩٢.
(٢) ينظر: في الأدب الحديث، (١/ ٢٣٠).

وأخلاقه[1]. وفخره يغلب عليه الذاتية كما في قوله :

عاذلي في كرم الكف وفي كرم الأخلاق والنفس سلاما
هو من طبعي وارث من أبي بعد أجدادي الأولى مروا كراما
والفتى لم يبق مهما مات إلا أحد الذكرين حمدًا أو ملاما
يحمد الخالق والخلق كرا م المساعي ويذمون اللئاما[2]

وقد يتعاضد الفخر بالهجرة، التي تصبح دفعًا للذل وتمسكًا بالقيم وإخلاصًا لها. وهي حالة شعورية وتعبيرية قديمة في الشعر العربي[3]. وفي قصيدته التي مطلعها :

ودع سعاد وألق حبل قيادها واصدر على ظمأ لدى ميرادها[4]

يتواشج الهمّ الفردي بالهم الجماعي ففيها نجده يلخص لنا تجربته في الحياة بالدعوة إلى طلب العلاء والمجد وعدم الاشتغال بالتودد إلى النساء، بل على من يرتادها الصبر والتجلد :

خود المعالي لم تمل إلا إلى كفء لها جلدًا ليوم جلادها
أنى تنال لغير أروع ماجد متبدل عن غيها ورشادها
ماضي العزيمة غير هياب صبو ر النفس بيات على مرصادها
يسدي ويلحم في مناسج فكره إبرادها ويجيد قدح زنادها
تلك السبيل إلى الفخار فإن ترد إدراكه فدع الربوع وعادها[5]

ثم نجده يدعو إلى الرحلة إذا لم ينل ما يصبو له في أرضه فالعجز شر

(١) ينظر: الديوان، ص١٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٠٦.
(٣) شعراء اليمن المعاصرون، ص٢١٤.
(٤) الديوان، ص١٢١.
(٥) المصدر نفسه، ص١٢١.

صاحب ولا بدّ لمن يريد معالي الأمور أن يصبر على الشدائد وعليه أن يخطب عذارى المجد في آفاقها وأن يطوف المشارق والمغارب وأن يركب صهاء إنجادها

فنفائس الياقوت تؤخذ من معا دنها وتشرى من يدي نقادها[1]

ويقدم الشاعر الأسباب التي دعته للهجرة وتركه لوطنه نتيجة لما لاقاه فيها من أذى الأوغاد، ثم يفتخر بنفسه :

في الأرض متسع لحر نفسه عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتثكل الغناء حلولي دورها وعلي فلتلبس ثياب حدادها
فسنام أي الأرض اذهب منزلي ولي الندامى الغر من أمجادها
وتريم تعلم والمدائن حولها أني لدى اللأواء من أجوادها
وإذا جرت خيل الكرام إلى مدى فمن المجلي في كرام جيادها[2]

هذا الفخر الفردي يتبعه الشاعر بالهم الجماعي داعيًا أولي الأمر أن يعيدوا العدل وأن يرفعوا الظلم والجور الذي لحق به وبالناس[3].

إنّ تداخل الفخر الفردي بالقيم والمثل العليا لهو دليل على أن فخره وإن ارتكز على بعض الأسس الفردية إلا أنه يهتم بالجماعة، وهو ما تعكسه قصيدته في وصف عدن مثلاً إذ يذب عنها ضد من يتهمها بأنها قطعة من جهنم، فيجيبه الشاعر بأنها جنة الخلد، وأنه بزيارته لها قد حقق أمانيه فحق له أن يتيه ويفخر[4]. ولقد عكس شعر الفخر عند ابن شهاب طموحه

---

(١) المصدر السابق، ص١٢١.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٢. هو هنا متأثر ببيت الشنفرى:
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل.
(٣) المصدر نفسه، ص١٢٢. (٤) المصدر نفسه، ص٢١١.

وأحلامه التي حاول جاهدًا أن يحققها بهجرته، لكن سوء الحظ كان عائقًا أمامه من تحقيقها. ومع ذلك لا نجد انكسارًا أو يأسًا بل فخرًا وطموحًا[1]. لكن الفخر في شعره وإن اختلط وعبر عن حس جماعي إلا أنه جاء في أغلبه ذا نزوع فردي.

❦ ❦ ❦

(١) المصدر السابق، ص١٩٧.

◆ **ثانيًا: - الموضوعات المعاصرة :**

إذا كان ابن شهاب قد التزم في شعره بالخط التقليدي الذي يتمسك بالأغراض التقليدية ويصدر فيها عن مفهوم للشعر ارتضاه لنفسه، وجعله منهجًا يسير عليه، فأن هذا لا يعني أنه لم يحاول الخروج على هذا النمط الذي سار عليه، وحاول أن يعالج بعض القضايا ذات الانشغالات الموضوعية المناسبة لعصره، أو تلك التي ترتبط بالواقع وبالمرحلة التي عاشها، فهو لم يكن بمعزل عن الأحداث التي جرت بل تفاعل معها، وأدلى فيها بدلوه. ولقد تميزت بقوة الطرح، وصدق العاطفة، لأنها صادرة عن قناعات راسخة وهو يتكئ فيها على مقومات ثقافته الشاملة التي تنطلق من منطلق ديني بحت نتيجة للذخيرة المعرفية التي تزود بها من علوم الشريعة كالقرآن والسنة والفقه، فضلاً عن علوم اللغة والمنطق وغيرها، بل نجده في شعره يعلن عن يقينه بأنه بلغ درجة الاجتهاد[1]. ويرى من واجبه تبيان موقفه من هذه القضايا المثارة، وهو يعكس في ذلك ماكان سائدًا في عصره وبيئته التي عاش فيها. ولقد تنوعت هذه القضايا التي عالجها في شعره فمنها القضايا التاريخية التي استمرت حتى ذلك العصر والتي شملت بعض القضايا الفكرية والدينية التي اختلف فيها المسلمون قديمًا وحديثًا ومنها ماهو جديد انعكس في شعره، لتبرز لنا بعض ملامح التجديد الشعري عنده التي حاول فيها الخروج عن المسار التقليدي المهيمن على شعره.

أ - آل البيت :

شغلت قضية آل البيت صراعًا بين طوائف المسلمين قديمًا وحديثًا،

(١) المصدر السابق، ص٨١.

استمرت متأججة إلى عصرنا الراهن، وأخذت حيزًا كبيرًا في الشعر العربي، فظهر شعراء يدافعون عنهم كالكميت والشريف الرضي. ولقد سار ابن شهاب على دربهم فهو يتغنى بحب آل البيت ويرى أن هذا الحب دين مفروض وقربة يتقرب بها المسلم إلى ربه، بل يبالغ في حبهم إذ يجعله يغسل ذنوب من والاهم. ويحتد في الحكم على من يبغضهم فيرى أن الإيمان لا يسكن قلبه وهو ملعون من الله مع إبليس[١]. كما يذهب إلى تفضيلهم على من سواهم[٢]. مما يجعله يقف من خصومهم موقفًا عدائيًا حادًا لا هوادة فيه، فهو يخرج أعداء آل البيت عن دائرة الإسلام ويكفرهم نتيجة ما ارتكبوه في حقهم وسائر الأمة من ظلم وجور[٣]. بل إن سهام نقده تتجاوز أعداء آل البيت إلى من والى أولئك الأعداء وأظهر حبهم وفضلهم، أو وقف منهم موقفًا وسطًا والتزم المنهج الذي سار عليه العلماء قديمًا وحديثًا وهو موقف السكوت عما وقع بين الصحابة[٤]. بل يبلغ في تعصبه حدًا أن ينتقد البخاري لأنه لم يرو في صحيحه للإمام جعفر الصادق[٥]. كما نجده ينتقد من أفتى بجواز زواج العلوية بغير العلوي وجعله الناس سواسية[٦]. هذه الآراء والمواقف التي برزت في شعر ابن شهاب أفرزت لنا موقفين من شعره والفكر الذي حمله :

أحدهما : يذهب إلى اتهام ابن شهاب بالغلو في التشيع والطائفية

---

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧ وص١٣٤.
(٤) المصدر نفسه، ص١٤٩.
(٥) المصدر نفسه، ص٨٠.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٧.

والعنصرية القائمة على الجنس ويقوم هذا الرأي على ما أظهره ابن شهاب حين وقف "موقفًا عدائيًا صريحًا من السنة وهاجمهم في شخص الإمام البخاري وأعلن انتماؤه المذهبي إلى العلويين، كما هاجم الوهابيين في السعودية"[(١)]. ويرى أن العصبية العرقية تعود إلى "أن العلويين - بوصفهم السادة - كانوا يجعلون لأنفسهم امتيازات خاصة بطبقتهم يفرضونها على الآخرين من غير طبقتهم"[(٢)]. ويعتمد هذا الرأي على التصنيف المذهبي السائد آنذاك.

أما الأخر: فأنه لا ينكر تشيع ابن شهاب ولكن يراه "تشيعًا من غير غلو بل إنه اعتدل في تشيعه اعتدالاً حسنًا جميلاً عقب زيارته لحضرموت"[(٣)]. ويعلل أصحاب هذا الرأي موقفه من الحكم الأموي إلى أنه نابع من الالتزام الصارم بصريح الكتاب والسنة النبوية والفهم العميق للتاريخ، وهي آراء مطابقة لوجهات نظر كثير من العلماء والنقاد المنصفين المعاصرين كالعقاد وطه حسين ومحمد عبده والرافعي، فنظام الحكم الأموي من وجهة نظرهم خرج عن العدالة الإسلامية وغيّر مجرى الحكم تاريخيًا[(٤)].

يتفق أصحاب هذين الرأيين في أن شعر ابن شهاب يمتلئ بكثير من الآراء والأفكار التي توحي لنا بتشيعه لآل البيت ومقارعة خصومهم

(١) الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، د/ عز الدين إسماعيل، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢م، ص١٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤١ وينظر: شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٠٥.
(٣) معجم بلدان حضرموت، ص٤٨٨.
(٤) ينظر أدوار التاريخ الحضرمي، ص٤٥١.

وأعدائهم وهي آراء يمكن أن نجمل أسبابها إلى انتمائه لآل البيت فهو علوي النسب، وقناعاته التي ترسخت لديه وأصبحت عقيدة يؤمن بها ويصدر عنها، وما وجده من أدلة دينية تؤيد تلك القناعات.

ويرى الباحث أن شعر ابن شهاب عكس هذه العقيدة التي آمن بها فضلاً عن أن حب آل البيت فرض يتفق عليه أئمة الإسلام قديمًا و حديثًا[١]. وهو فرض منزل من الله لا تصح صلاة المسلم إلا بالصلاة عليهم كما يذهب لذلك الإمام الشافعي[٢]. وهو إذ يصرح بهذا الحب فلا يمكن عدّه من التشيع والرفض فذلك مما تشترك فيه الأمة الإسلامية كلها بكافة طوائفها وجماعاتها، ولذلك نراه يوضح عقيدته الملتزمة بالكتاب والسنة ويعلن انتماءه المذهبي للشافعي كما يوضح عقيدته في الخلفاء والصحابة من المهاجرين والأنصار[٣]. هذه العقيدة التي يعلنها يذكرها أيضًا في كتابه الترياق النافع[٤]. حيث يصرح فيه بأنه يعتقد عقيدة أئمة السنة والجماعة من أمثال أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري وغيرهم، بل أنه يدافع عن الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب[٥]. ولكن ما يؤخذ عليه في أنه يحتد كثيرًا على مخالفيه بالقول ويصرح في شعره بهجائهم هجاءً مرًا لاذعًا خاصة من اشتهر منهم بأنه من أئمة الإسلام وفقهائه

(١) ينظر: فضل آل البيت وحقوقهم، لابن تيمية، تعليق: أبي تراب الظاهري، ط١، دار القبلة (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م)، ص٧.
(٢) ينظر ديوان الشافعي، محمد بن إدريس، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط٣، دار الكتب الثقافية، صنعاء (١٤٢٠ه-١٩٩٩م)، ص١٠٧.
(٣) ينظر الديوان، ص١٣٧.
(٤) ص٢٥٢-٢٥٥ وينظر موقفه من الصحابة، ص٩-١١.
(٥) ينظر الديوان، ص٨١.

كالبخاري، وابن تيمية، وأحمد ابن حجر الهيثمي[١]. وكذا العداء الصارخ لمعاوية والبيت الأموي نتيجة لكثير من القضايا التي رأى أن معاوية قد تعداها: كالبغي وقتل آل البيت وعدد من الصالحين وأكل الفيء، ولعن الإمام علي، وتوليته ابنه المتهم بشرب الخمر، وقتل عمار بن ياسر[٢]. وهو موقف ينسحب أيضًا على يزيد إذ يقذع في هجائه فيتهمه اتهامات كثيرة كشرب الخمر والاعتداء على الحسين وقتله آل البيت[٣]. ونحن نرى أن الحكم على ابن شهاب من خلال هذه الآراء ليس بالرأي الصائب ولا يمكن لنا أن نعتمد على ما قاله من شعر، فالشعر يقوم أساسًا على العاطفة التي تأتي في لحظات متأججة وهي مما لا يمكننا مؤاخذته عليها، وهي مواقف أسسها على ماتجمع لديه من أدلة وحجج وبراهين والتي من خلالها حكم على مخالفيه وأعداء آل البيت، إلا أن ما يؤاخذ عليه حقًا في مواقفه السابقة اتسامه بحدة الطبع واللسان وسرعة الغضب وشدة التعصب، فهو لم يتزحزح عن هذه الآراء وهي انعكاس لتجربة استطاع أن يصورها في شعره لتوحي لنا بما يراه صوابًا في هذه القضايا التي ناقشها ورغم هذا التعصب الطائفي والعنصري لآل البيت والدعوة إلى إتباعهم، نجد عنده نزعة نحو التحرر ورفض التقليد الأعمى الأئمة ويرى وجوب إتباع الرسول ﷺ[٤]. وما تسم به شعر ابن شهاب في معالجته لبعض القضايا بالحدة والصراحة كفخره بانتسابه لآل البيت ليس بجديد فقد سبقه في ذلك شعراء آل البيت قبله

---

(١) المصدر السابق، ص٨٠ وص١٤٩ وص٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٢ وينظر الصفحات: ٢٢٤، ٢٢٣، ٩٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٧.
(٤) المصدر نفسه، ٨١ وص١٥٤.

كالشريف الرضي[1]. وغيره، لكن من أهم القضايا التي اشتط فيها ابن شهاب هي الهجاء إذ نلمح في هجائه نوعًا من الجرأة والقذع عكس ما نجده عند الشريف أيضًا[2]. فهما وإن اتفقا في هجاء أعداء آل البيت إلا أن الشريف يكني في هجائه ولا يصرح به[3] وهذا يعود إلى أنه كانت له نقابة الأشراف في عصره فكان لابد أن يكون في هجائه هادئًا. إن شخصية ابن شهاب الصريحة وعدم تهاونه في البوح بما يراه صوابًا، لذلك اتصفت المواقف التي اتخذها ابن شهاب بحدة الطبع والجرأة في النقد ليعكس بذلك قناعاته التي يرى أنه مسؤول عن تبيانها وشرحها أمام الآخر إضافة إلى أنه جعلها قضية شخصية، وما أخذته في عصره من انشغالات أثيرت مجددًا، وتحويلها إلى قضية جدلية لذلك أخذ جانبًا خاصًا في شعره فدافع عن أفكارهم ومعتقداتهم وهو إن كان قديمًا إلا أنه يخرج إلى نوع من التجديد لأن القضية أثيرت مجددًا لذلك رأى الباحث أنها من القضايا التي أصبحت معاصرة له. مما جعل سهام النقد توجه لابن شهاب وتتهمه بكثير من التهم.

ب - الصوفية :

نشأ ابن شهاب وتربى تربية دينية صوفية، إذ يغلب ذلك على البيئة المحيطة التي ظهر فيها، مما جعله يتزود بكثير من المفاهيم الصوفية والمعارف التي تطالعنا في شعره قصائد عنها "تستحوذ على ألبابنا بغنائيتها وشفافيتها وتنقلنا إلى رحاب تصل بنا إلى غاية آفاق الجمال الروحي وهو

(١) ينظر: ديوان الشريف الرضي، دط، دار صادر، بيروت، دت، (١/ ٣٥٩).
(٢) المصدر نفسه، (١/ ٣٦٢ و٣٦٦). (٣) المصدر نفسه (١/ ٤٤ و١١١).

الجمال المطلق الذي كثيرًا ما تغزل به الشعراء الصوفيون"[١]. وفي كثير من قصائده يتجلى لنا بوضوح مشربه الصوفي الذي يدعو له[٢]. وهو فيها يدعو إلى التصوف القائم على الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح الذي أساسه العلم رافضًا كل ما يخرج به عن هذا المنهج، فالتصوف عنده علاقة روحانية بين العبد وربه تقوم على تنقية القلب من كل ما يكدر هذه العلاقة[٣]. ولذلك جاء موقفه من متصوفة عصره الذين خرجوا بالتصوف عن غايته قويًا واضحًا، فهو يشتد عليهم بالنكير، ويعد ما يقومون به من أعمال خارجه عن التصوف الحق، ويرفض تقسيم العلم إلى نوعين، العلم الظاهر وهو علم الكتب والأحكام الشرعية، والعلم الباطن أو ما يسمى لحظات الإشراق الوجداني والذي يجب أن يصان عن العامة، كما أنه يرفض ادعاؤهم الكرامات والكشف ورؤية المختار ومخاطبته عيانًا وكذبهم على أتباعهم بأنهم السعداء في الآخرة وأنهم الأتقياء وزعمهم أن شيوخهم يدخلون الجنة متى شاؤا[٤]. بل إنه يشتد كثيرًا على المتصوفة الذين جعلوا من التصوف مطية للدجل والكذب على العامة، وأكل أموالهم بالباطل وترسمهم برسومه وإظهارهم البر والتقوى وإكثارهم التنسك ليخدعوا به العامة، كما شبههم بـ (الذئاب المعط الناطقة) وشرح حالهم من خلال عكوفهم على شهواتهم كاللعب والشرب والأكل وهجرهم كتاب الله وجلبهم للمال بكل الطرق وكثيرًا من الصفات التي وضحها في قصيدته التي يبين موقفه فيها من المتصوفة والدجالين التي يقول فيها :

---

(١) رائد النهضة الشعرية في اليمن، ص٦٠. (٢) ينظر: الديوان، ص٥٩، ص٢٤٠.
(٣) ينظر: الترياق النافع، ص٢٦٨-٢٨١.
(٤) ينظر الديوان، ص٢٣٧.

هل للغرائب من حكيم عاقل أوعالم يقضي بحكم فاصل
أمن الذئاب المعط صنف ناطق في صورة البشر السوي الكامل
أأقول كلا والعيان مكذبي كلا بل المفتي أسير السائل
معط الذئاب الناطقات هم الأولى جعلوا التصوف صنعة للداجل[1]

هذا الموقف الذي وقفه ابن شهاب من أدعياء التصوف الدجالين جعل أحد الباحثين يعده "أول شاعر حمل على المتصوفة وجرد قلمه عليهم بشعر لاذع أحدث ضجة عظيمة في وقته"[2]. ذاهبًا إلى أن حملته على الصوفية في مدينة مفعمة بالتصوف وهي تريم وتسديده السهام لأدعياء الولاية ومتصوفة السريان وكشف أساليبهم لا يعده نقدًا بل انقلابًا شعريًا[3]. ونحن نؤيده في ذهابه إلى أن ابن شهاب يعد أول من حمل على أدعياء التصوف من الشعراء الحضارم في عصره كاشفًا حقيقتهم للعامة، ولكننا نخالفه في ما ذهب إليه من أن هذا النقد كان موجهًا للصوفية في حضرموت وبالأخص تريم، ذلك لأن التصوف فيها بشكل عام التزم بالكتاب والسنة ولم يخرج عليها، وإنما هذا النقد الصارخ قد وجهه لمن وجدهم من المتصوفة في الهند وبعض البلدان التي زارها "الذين يتظاهرون بالدين والتقوى ولهم أعمال ضد ذلك يغشون بها السذج والعامة"[4]. ويمكن إجمالاً أن نقول أن شعره الصوفي شغلته نقطتان جوهريتان هما التصوف كعلم مؤسس على العلاقة الروحانية القائمة بين العبد وربه والتي تلتزم بالكتاب والسنة وسيرة السلف، وبين مظاهر بعض المتصوفة التي خرجت عن هذا النهج وجعلت التصوف جسرًا

(١) المصدر السابق، ص١٩٣.
(٢) الحركة الأدبية في حضرموت، ص١٤٣. (٣) المصدر نفسه، ص١٤٣.
(٤) أدوار التاريخ الحضرمي، ص٤٥٤.

للكسب الدنيوي والتغرير بالعامة بإظهار الصلاح والتقوى وإخفاء ما يهدم ذلك من أخلاق منافية للتصوف الحق.

ج - المرأة :

شغلت المرأة حيزًا لا بأس به في شعر ابن شهاب، إذ نجد أن هناك نظرتين متناقضتين تصدر عنه في موقفه منها إحداهما أنه "ينظر لها نظرة احتراز وحيطة من المكر والخداع الذي كثيرًا ما توصف به"[(١)]. وهو تصور "ينبع من سوء الظن بالمرأة لكي يؤكد في نفوس الناس مزيدًا منه"[(٢)]. فهو يصورها بأنها ناكرة للمعروف والإحسان، لا تعف عن الذنب كاذبة مخادعة لا يمكن للرجل أن يأمنها حتى لو وجد عندها إخلاصًا يضرب المثل به، وقلبها لا يحمل سوى عظائم المكر والكيد والحيل وهي صفات موروثة فيها أي أنها فطرت عليها[(٣)]. بل إنه يضفي عليها صفات كبيرة فهي من وجهة نظره سبب كل فتنه تنشأ بين الأقارب كما في قوله :

إذا نشأت بين الأقارب فتنة
بها اشتعلت نار الضغائن والحقد
وحار أولوا الألباب فيما استفزهم
إلى نقض ميثاق الأخوة والعهد
ففتش تجد أصل البلاء نساءهم
بما اسطعن من بذر التنافر والبعد[(٤)]

---

(١) رائد النهضة الشعرية في اليمن، ص٧٣.
(٢) الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، ص١٦٥.
(٣) ينظر الديوان، ص١٣٣ وص١٩٩.
(٤) هنا استدعاء للمقولة المشهورة (فتش عن المرأة).

جبلن على وضع القذا حيث يعظم الـ

أذى وعلى التفريق بين ذوي الود[1]

وهذا الموقف من المرأة تتخلله نظرة أخرى هي أقرب إلى النقيض منها، إذ نجده يدعو إلى معاملتها معاملة حسنة ويطالب بأن تعطى لها بعض الحقوق وأن تكرم من قبل الرجل وأن لا يعاملها كأنها بهيمة أو جارية، ويدعو إلى احترامها بوصفها أمًّا وزوجة وأختًا، لها من الحقوق ما عليها من الوجبات. وإن كنا نجد أنه في دعوته إلى تحريرها واحترامها وتعليمها يسقط عليها تلك الصفات القبيحة والذميمة[2]. ولعل هذا الموقف من المرأة وماهو عليه من التناقض وعدم الثبات يمكن الذهاب به إلى ما ترسخ في أذهان العلماء والعامة في ذلك العصر من عادات وتقاليد تشابكت مع القيم الدينية حتى غدت جزءًا لا يتجزأ منها فنحن نجد من يعطيها بعدًا دينيًا إذ يرى أنه "موقف عدالة وإنصاف فيما لها وعليها بمقتضى النظم التي سنها الإسلام في المجتمع"[3]. فهو في نظرهم "لم يشذ عن أقوال أئمة الإسلام"[4].

ولاشك في أن هذا الرأي قد جانبه الصواب فالإسلام جعل أهلية المرأة كاملة كالرجل، ولهذا جاء الخطاب التكليفي شاملاً الرجل والمرأة دون تمييز، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[5]. وقوله سبحانه:

(١) المصدر السابق، ص١٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٢.
(٣) أدوار التاريخ الحضرمي، ص٤٦٢.
(٤) مع الشعر المعاصر في اليمن نقد وتاريخ، أحمد محمد الشامي، ط٣، دار النفائس، بيروت، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص١٢٢.
(٥) سورة النحل، الآية (٩٧).

﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾[1]. فهي شقيقة الرجل وقد شرع الله لها من الحقوق العامة ماشرع للرجل، بل منحها قدرًا من التكريم والإحسان والاحترام ما يفوق الرجل، ونحن نرى أن هذه الصفات التي وصفت بها المرأة في شعر ابن شهاب تشترك فيها مع الرجل، والحد الفاصل بين الجنسين وهذه الصفات هو الدين كوازع يزع من الوقوع فيها وهو ما يذهب أليه بقوله :

فاظفر بذات الدين فالدين عن جماحهن الوازع الأكبر[2]

ونحن نسلم أن بعض النساء لا كلهن ممن تثير لزوجها المتاعب فحسب، وأنها لا يهدأ لها بال إلا عندما ينصاع الرجل لمشيئتها وتفسير ذلك إنما يرجع لأن وضعيتها تفرض عليها هذا السلوك، فالمجتمع الذي نشأت فيه ساعد على تجهيلها وجعلها تعيش حياة هامشية منطوية ينظر لها على أنها جارية لا قيمة لها ولذلك جعلت هذه الطريقة وسيلة تؤكد بها ذاتها التي طمست[3]. وليست تلك عندها فطرة شريرة كما يحلو للبعض تصورها، فنحن نعلم جيدًا أن وضعية المرأة في ذلك العصر بلغت درجة عالية من التخلف والجهل والتهميش وقد منعت من أشياء كثيرة أعطاها إياها الإسلام بسبب ثقافة ذلك العصر وما فيه من العادات والتقاليد التي أصبحت جزءًا من القيم التي لا يمكن رفضها لأنها صبغت بصبغة دينية وهي التي ما زلنا نعاني منها حتى عصرنا الراهن.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩٥).

(٢) الديوان، ص١٣٣، وهو يقتبس الحديث النبوي (فاظفر بذات الدين تربت يداك).

(٣) ينظر: الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، ص١٦٥.

د - قضايا عامة :

عالج ابن شهاب في شعره فضلاً عن القضايا مارة الذكر بعض القضايا العامة الأخرى التي تهم الأمة، سواءً أكانت سياسية، أو اجتماعية، أو ما يخص شؤون حياته اليومية ومشاكله الخاصة. وهي و إن كانت نادرة كما يذهب أحد الباحثين[1] إلّا أنها عبرت عن أصالة ابن شهاب وروحه الطموحة الحالمة بمستقبل أفضل لهذه الأمة. وهو لا يتردد أبدًا أو يتوانى في استغلال كل مناسبة ليدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية بطوائفها وتياراتها واتجاهاتها تحت راية واحدة هي راية الإسلام بشموليته وكماله واتساعه لكل الآراء. ويرى أن الوهن الذي أصاب الأمة وأضعفها جاء نتيجة ما أصابها من فرقة وانقسام، وما أنتجته هذه الفرقة من شحناء وتباغض بين طوائفها مع أن مقومات الوحدة متوافرة وكثيرة ابتداء بإيمانها بالله الخالق وانتهاء بوحدة ما تمارسه من عبادات وممارسات دينية ويرى أن الخلاف في الفروع رحمة من الله لهذه الأمة[2]. بل نجده يتجاوزها بدعوته إلى الوحدة السياسية تحت قيادة واحدة ممثلة بالسلطان عبدالحميد، الذي يرى أنه خليفة المسلمين في عصره، لأنه حامي حمى الدين، وناشر الإسلام والمدافع عن الأرض وهو يذهب إلى وجوب بيعته وأن من يتخلف عنها لا يكمل دينه[3]. وهي دعوة تتأسس على وفق مفاهيم دينية تدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية تحت راية واحدة هي الخلافة ممثلة بالخليفة في ذلك العصر.

ومن المواقف الأخرى التي تطرق لها ابن شهاب في شعره الحرب العالمية الأولى التي نشبت بين الدول الغربية، وتناولها مبينًا وجهة نظره فيها

---

(١) ينظر: شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٢٥.

(٢) ينظر: الديوان، ص٢٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٦ وص٢١٢.

والتي هي "دينية محضة فهي عقاب من الله للبشر بسبب سوء فعلهم"[١].
وتلك نظرة تعبر عن إحساس صادق عند الشاعر وتعليل مقنع مقبول في المجتمع الإسلامي، فهو يرى أن سبب هذه الحرب البغي والجور والظلم والمجاهرة لله سبحانه وتعالى بالموبقات والمحرمات وأكل الربا والفحش والمسكرات والاختلاط والاستئثار بالثروة، وذلك كله هو ما جعل الله يعاقبهم بالحرب[٢].

وناقش ابن شهاب في شعره القضايا الاجتماعية وصورة المجتمع الذي عاش فيه وهو "حين يتحدث عن شؤون حياته اليومية ومشاكله تحس أنه يعبر بصدق عن خلجات نفسه الإنسانية"[٣]. و هو ما نلاحظه في شعره الذي عبر به عن علاقته بأصدقائه كما في قوله في أمر جرى بينه وبين بعض معارفه :

فمرّت بيننا أيام عز ... مباركة يروق بها الظلال
ونلنا باجتماع الرأي أمرًا ... من الطلبات صعبًا لا ينال
فغيرهم زمان السوء حتى ... إلى ما مال أهل العذل مالوا
تنكرت الطباع اليوم حتى ... قلیناها وأنكرها العيال
ومالي كان من ودٍّ قديمٍ ... تفانى فهو عندهم انحلال[٤]

كما صور في شعره مجتمعه صورة صادقة فهو قد عاش في «مجتمع اتسم بضعف القيم الروحية وتهالك الناس على المادة وحلول الدينار محل الصديق»[٥].

لذا نجده يصور لنا هذه العلاقة أتم تصوير والمخذول في نظره هو من

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٢٥. (٢) ينظر: الديوان: ص١٠٠.
(٣) شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٢٤. (٤) الديوان، ص١٨٨.
(٥) شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٢٤.

يرجو الغوث والنجدة من الأصحاب والأقارب والأصدقاء الذين يختبئون أو يقدمون الأعذار ويرى أن الكافل هو الدينار فهو يذهب الهم[١]. وهو يدعو إلى اجتناب أهل الهوى والتحذير منهم[٢]. كما ينادي بالسلام بين الناس والعمل الخيري والترفع عن المعاصي وعدم التعرض لهم بالغيبة ويرفض النفاق الاجتماعي، ويجب أن يكون الشخص صادقًا في علاقته بغيره صريحًا في تعامله فلا يظهر بوجهين كما في قوله:

لقد رابني من عامر أن عامرًا ... بعين الرضى يرنو إلى من جفانيا
يجيء فيبدي الود والنصح غاديًا ... ويمسي لحسادي خليلاً مواخيا
فيا ليت ذاك الود والنصح لم يكن ... ويا ليته كان الخصيم المعاديا[٣]

كما دعا ابن شهاب في شعره إلى العمل نابذًا الخمول والكسل حاثًا على الرقي بالمجتمع والشعب وخدمتهما ودفع الضر عنهما وعدم التكبر[٤]. ولعل دعوته لطلب العلم ونشره التي أكثر ترديدها في شعره هي من خير دعواته الاجتماعية[٥]. التي تطمح إلى تطور المجتمع والارتقاء به عاليًا :

بالعلم تعلو كل نفس حيث لم ... تنهض بها أنسابها أو مالها
والجهل يقعد بالشريف وإن سمت ... أحسابه فإلى الهبوط مآلها
فعليكمُ بالعلم أن بنوره ... للناس يبدو رشدها وضلالها[٦]

❦ ❦ ❦

(١) الديوان، ص١٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٥١.
(٤) المصدر نفسه، ص١٣٦.
(٥) شعراء اليمن المعاصرون، ص٢٢٤.
(٦) الديوان، ص١٨٦.

◆ **ثالثًا: الذاتية :**

يتجه شعر ابن شهاب أحيانًا ليعبر عن ذاته وشخصيته، فنلمح في بعض قصائده رغبة تريد الخروج عن النمط التقليدي والتعبير عن الذات وعكس مشاعرها وآمالها وأحلامها منفردة أو مع المجموع. و"ليس المراد بالذاتية أن يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها - وإن كان ذلك من أهم مظاهر الذاتية - بل أن يكون للشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس الإنسانية"[(١)]. فالاتجاه الوجداني الملتصق بالذات بدأ مع حركة الإحياء التي ردت إلى الشعر ما كان قد فقده من لمسات وجدانية ذاتية ثم نما مع حركات التجديد حتى ازدهر منذ العقد الثالث من هذا القرن مع نهاية الحرب العالمية الثانية[(٢)]. لقد أتاحت لابن شهاب موهبته الشعرية أن يرتقي بالشعر عاليًا وأن يؤدي دوره في حركة الإحياء، فشعره يكاد يشبه البارودي في إنه "يتميز بلمسات (عصرية) تنم عن انتمائه إلى العصر الحديث وهي لمسات تظل مجرد إحساس خفي يشيع من ورائه كثير من مظاهر التقليد"[(٣)]. ولقد حفلت حياة ابن شهاب بالأحداث والتجارب التي جعلته يرتد إلى ذاته فينبعث من شعره من الحرارة والعواطف الممتزجة بالبصيرة الصادقة مالا ينبع إلا من رغبة في أن يخلص لتجربته الشعرية وأن يتخذ منها ركيزة لشعره رغم المسحة المنتمية إلى الموروث من حيث الأداء "فليس معنى التجربة الذاتية

---

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د/عبدالقادر القط، الناشر مكتبة الشباب، ١٩٨٦م، ص٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥. (٣) المصدر نفسه، ص٢٥.

أنها مقصورة على حدود المعبر عنها، بل هي إنسانية بطبيعتها، إذ إن جهد الشاعر منصرف إلى التعبير عن مشاعره بعد أن يتمثلها"[1]. ثم يصيغها في قالبٍ موحٍ ودال.

لقد اتسمت طبيعة النزعة الذاتية في شعر ابن شهاب بأنها لا تعبر عن طموحه والأحداث التي في حياته فحسب، بل نراها في كثير من تجاربه الشعرية الأخرى وخاصة في وصف غربته وما يكابده فيها من معاناة، وفقدانه للسعادة فهو يصور حالة الحزن التي تغمره كما تبرز لنا خبرته بالحياة التي يعيشها كما في قوله :

جئت للدكن الخصيبة لكن خاؤها الميم لي بالاستبدال
وغدوت النزيل في دار من كا ن اختلاطي بهم كمثل اعتزالي
غربة في ديار من ليس جنسي جنسهم والمقال غير المقال
سمت فيهم نفيس علمي فلم ينـ ـفق وقرضتهم بسحر حلال
وبمحض العفاف صار كتابي مستعارًا وصافناتي نعالي
ذهبت حكمتي ضياعًا وشمسي في استتار وعزتي في ابتذال
فيهم قد قضيت تسعة أعوام أذابت نفيس عمري ومالي[2]

فهو في غربته لم يحقق حلمه وطموحه في أن يصبح ذا شأن مهم في المجتمع وأن يتبوأ منصبًا يليق بمكانته العلمية والأدبية والعصبية بل إنه يصدم حين يتم تعيينه مدرسًا[3]. ويستغرق ابن شهاب في التجربة الذاتية لينقلها إلينا في أدق ما يحيط بها من أحداث فيؤشر لنا حالات الحزن التي

(١) النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص٣٨١.
(٢) الديوان، ص١٩٧. (٣) المصدر نفسه، ص١٩٨.

تولدت من معاناته نتيجة لفراقه لأهله ووطنه، مما جعله يبوح بشدة شوقه وحنينه وتعلقه - بالمكان - الأحبة - فهو يمتزج بهما امتزاجًا يأخذ عليه قلبه ومشاعره، ليأتي تعبيره عنه نابعًا من إحساس صادق حار يتشابك فيه الحزن بالشوق[١]. غير أنه ينزاح كثيرًا من حالة الحزن التي تغمره وتمتزج بذاته إلى نوع من الفرح الطبيعي الذي يخرج من نفسٍ أحبت المكان فتغنت له، إذ يبدو حيًا متحركًا يبعث مع النسيم شذا الأحباب لتنفس عنه، ويذكر مراحل حياته التي قضاها فيها باعثًا شوقه وحنينه إلى تلك الأماكن التي شهدت إشراقات حياته وبشرها[٢].

وللوصف كونه شعرًا دالاً على ما يحيط بالشاعر حيز في التجربة الذاتية فهو يعكس ملامح الجمال التي برزت فيها فيصيغها لتوحي لنا بأثرها فيه. وهو في وصفه للطبيعة وجمالها نجده يتأرجح بين التقليد والإبداع، فهو يمزج بينهما ليبدع لنا لوحة جميلة ورائعة كما في وصفه لمدينة سنغافورة ومافيها من طبيعة خلابة وما تبعثه من سرور إلى النفس[٣] لتعطينا فكرة عن شخصية الشاعر المحبة للجمال رغم ما فيها من غموض وميل للانطلاق والانفتاح ونزوع نحو التجديد وهو ما نلاحظه في وصفه لمدينة عدن، وقد خرج عن النمط التقليدي للوصف في الموروث الشعري إلى البساطة في الأداء، ليوحي لنا بجمال هذه المدينة وأثرها في نفسه :

عندليب الحبور والبشر نمنم وهزار السرور بالسر ترجم
وجرى سجسج النسيم عليلاً شافيًا للفؤاد من زعزع الهم

(١) المصدر السابق، ص٢٠٢. (٢) المصدر نفسه، ص١٧٥.
(٣) الديوان، ص٨٦.

والأغاني على بساط التهاني والمثاني رخيمها يترنم
وعلى ذكر من نحب شربنا ما براح الأفراح يا صاح مأتم[1]

إنه يبعث جوًا من البهجة التي تنبع من قلب تشرب بها فأرسلها لتعبر عن تجربة شخصية متجددة امتزجت بقلبه.

غير أن طبيعة النزعة الذاتية في شعره تظهر بوضوح في نصوصه الشعرية التي تصوره شاعرًا ذي وجدان رقيق حساس يمتزج بتجربته فنحس فيها عاطفة صادقة معبرة وموحية في آن معًا كشعر الغزل الذي جاء في نصوصٍ شعرية مستقلة أو في بعض مقدماته الغزلية التي تصور لنا حالة الوجد والتعلق والعاطفة الجياشة المعبرة ولوعة العاشق وتعلقه بالمحبوب وما يبديه من تذلل ورجاء ليصله محبوبه[2]، بل إننا نجد هذه العاطفة في مقطعته التالية رغم ما فيها من صنعة.

ست الحسان لماذا سماك أهلك تقوى
بل فتنة أي نفس على صدودك تقوى
ففيك طال اغترابي وكادت الدار تقوى
كم صغت فيكِ نسيبًا ليست قوافيه تقوى
نفسي فداك صليني فالوصل برٌّ وتقوى[3]

ومن الشعر الوجداني الذي صدر عن تجربة صادقة وموحية عكست لنا ذات الشاعر، ما نجده عنده من شعر الزهد كما في قوله :

حتى متى الرجعى إلى الغفار وإلى متى التسويف بالأعذار

(١) المصدر السابق، ص٢١١.
(٢) المصدر نفسه، ص٢١٦ وص٢٢٦. (٣) المصدر نفسه، ص٢٤٨.

وعلام تحجم أن تتوب فينمحي درن الذنوب بماء الاستغفار
يا هل لنفس السوء عن إيغالها في مهمه العصيان من زجار
حادت عن السنن القويم وقصرت عن واجبات أوامر الجبار
في الغي مرسلة العنان كأنها مرتابة بجزاء تلك الدار
فتنت بجمع الفانيات وحبها ولهت بزخرف وشيها الغرار
تنساب في شهواتها من غير ما نظر إلى النفاع والضرار[1]

إذ نرى هنا أن ذات الشاعر قد امتزجت بتجربتها لتبعث لنا شعورًا صادقًا وعاطفة رقيقة بل مع مسحة من الحزن العميق في ثنايا شعره تعكس لنا مدى ما يعانيه، ونزوعًا نحو اليأس ومن الأمثلة أيضا قوله :

للدمع فوق خدودي أي تخديد مذ بدد الدهر شملي أي تبديد
وهذه سنة الدهر الخؤون بمن إلى ذرى الفضل يغدو خابط البيد
يأيها الموت هلّا زرت منتصرًا فما البقاء على ضيمٍ وتنكيد[2]

ولم تقتصر الذاتية في شعره على تلك النفحات التي أطلقها لتبعث لنا صورة عن التجربة الشعرية وهي تعكس ذاته، بل برزت أيضًا في شعرها الآخر والذي اهتم من خلاله إما بكشف تجاربه في الحياة وخبرته بأحوال الناس وصفاتهم التي تعدّ صورة لذلك المجتمع الذي عاش فيه[3]،أو عند الحديث عن الحالة التي وصل لها الإنسان في ذك العصر من جهل وخمول وغياب الطموح[4].

(١) المصدر السابق، ص٥٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٤.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٩٢.

لقد تنوعت الذاتية في شعر ابن شهاب وتعددت مصادرها لديه مما يبرز لنا كيف أنه حاول أن ينطلق من أسار التقليد إلى فضاء الإبداع محاولاً إبراز تجربته الشعرية المعبرة عنه.